مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد 02 (2021 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/806

الوضع الاجتماعي والإقتصادي للمرأة في الجنوب الجزائري قبل الثورة التحريرية– المرأة في مدينة متليلي نهاية القرن 19 وبداية القرن20م

Social and economic activity of women in Kasr Metlili and Jura, end of the 19th century and beginning of the 20th century

د– بن قايد عمر

قسم التاريخ– جامعة غرداية،(الجزائر)

amar_gh14@yahoo.com

الملخص:

تتناول هذه الدراسة صورة المرأة في منطقة متليلي بالجنوب الجزائري، ودورها الاجتماعي والإقتصادي، في فترة نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، حيث كان وضعها جزءا لا يتجزء من الوضع العام الذي كانت عليه الجزائر ككل من جهة، ووضع الإنسان الجزائري بصفة عامة من جهة أخرى، وجاءت هذه الدراسة محاولة لإستقراء بعض الكتابات الفرنسية والعربية، واستخلاص الحالة العامة للمرأة في تلك الربوع من الجزائر.

الكلمات الدالة: المراة؛الدور الاجتماعي و الإقتصادي؛ الجزائر؛متليلي،القرن 19 و20م.

Abstrac:

This study deals with the image of women in the Metlili region in the south of Algeria, and their social and economic role, at the end of the 19th century and the beginning of the 20th century, as their status was an integral part of the general situation in Algeria as a whole on the one hand, and the situation of the Algerian person in general on the other hand, This study came as an attempt to extrapolate some French and Arabic writings, and to extract the general situation of women in those areas of Algeria.

Keywords:

woman; social role, economic role; Algeria: Metlili, 19th and 20th centuries

1. مقدمة:

سأحاول في هذه المداخلة التطرق لدراسة ظاهرة دور المرأة في الجنوب الجزائري، وخاصة في الميادين الاجتماعية والإقتصادية،حيث عرفت هذه الخاصية تطورا بارزا تبعا لتطور المجتمع،وتاتي هذه الورقة لكشف تلك النشاطات التب توارتتها المرأة في تلك المناطق وحركيتها وادوراها، فكانت لهن وظايفهن الخاصة، في ترتيب المجتمع وتدبير شؤونه، وكانت تلك الأدوار محددة ومنظمة بواسطة الأعراف والتقاليد الموروثة.

ويعد الحديث عن المرأة في مجتمع الجنوب الجزائري في نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، من المواضيع الأساسية التي لا يمكن أن نغفل عن دراستها فإذا أردنا تصور نمط الحياة في المجتمع و التقرب من يوميات الفرد فيه و اعتباره حقا فاعلا أساسيا في المجتمع يتأثر ويؤثر لا نظير له في كل الأطراف المحركة للتيارات السائدة في المجتمع كما كان فيه تنوع في فئة المجتمع النسوي وتطوره و النساء يمثلن شريحة هامة كان لها الأثر الواضح في مختلف الجوانب العامة : الاجتماعية و الاقتصادية ومنه **نطرح الإشكالية التالية :** كيف كان واقع المرأة في الجنوب الجزائري في نهاية القرن 19م ؟ و و كيف كان دور المرأة الاجتماعي والإقتصادي في مجتمع الجنوب الجزائري في تلك الفترة من تاريخه؟

هكذا جاءت هذه الورقة البحثية لمعرفة تلك النشاطات التي قامت بها المراة في هذه الفترة،فهي بالإضافة إلى دورها في تربية الأطفال وتدبير شؤون البيت نجدها تخرج إلى السوق لبيع منتوجاتها ، لذلك جاءت هذه الإحاطة للتعرف بظروفها وحركيتها ومعرفة دورها الروحي والثقافي والاجتماعي في الجزائر في القرن 19م بالجزائر عامة ومنطقة الجنوب خاصة. وذلك ما سنحاول الإجابة عليه في هذه الدراسة من خلال النقاط التالية:

2 -الدور الاجتماعي للمرأة في متليلي وجوارها:

لقد تولّت المرأة في هذه المنطقة عدة أعمال اجتماعية،توارتتها عبر الأجيال، فكانت ربّة بيت تعتني بالأسرة وتوفر لها لوازمها وتدير شؤونها المترلية،و هي سيدة أسرة تقوم بإعداد الطعام وتربية الأطفال،والحفاظ على الموروثات الثقافية للمجتمع، وكذا سواء أكانت في البادية أو القصر، لذاك كان حضورها ضرورة ملحة في مقاومة الواقع اليومي الذي تعيشه.

2-1-النشاط اليومي:

لقد تميز نمط حياة النساء في قصر متليلي بمجموعة من الممارسات التي يقمن بها، كالتسلية بإعتبار أن النساء في هذا المجتمع لم يكن يسمح لهن الخروج إلا نادرا، فالترفيه عن أنفسهن كان يتم من خلال اللقاءات المتبادلة بين النساء، والتي تتم في البيوت أو في أماكن الحضرة في الأضرحة، أوالوعدات والأعراس أو الحفلات.

2-2-الحفاظ على موروثها في اللباس:

وكانت هناك عدة مسميات للألبسة النسائية في هذه المناطق من أشهرها الكساء والملحفة والإزار والرداء والحايك،والريحية، وهي حذاء من الجلد ذو اللون الأحمر، كانت النساء تستعمله في الخروج مع الحايك، أو القنبوز ،وقد أفرد الواصفون حيزا كبيرا للباس حيث تلبس المرأة سروال أو فستان واحد أو أكثر وذلك حسب مترلتها الاجتماعية[1].

2-3-الحفاظ على الموروث الغذائي:

كانت المرأة في قصر متليلي هي الراعي الأول في الأسرة لإعداد الطعام،فهي المسؤولة عن تغذية أعضاء الأسرة،فهي التي تحمل الماء على القرب،وتجمع

الحطب،وكذلك فهي مكلفة يطحن الحبوب في طاحونات حجرية يوميا، بسواعهدن تدار باليد،ويقمن بتوفير الحاجيات الغذائية كالكسكس الذي يعد من الشعير أو القمح، ثم فتله،وانتاج مختلف أنواع الأطعمة المجففة كالقديد، والكليلة، والسمن، وتجفيف فاكهة المشمش والطماطم،و يقمن بالإعداد لكثير من الأطباق المحلية،كالحريرة المحلية التي تطهى بكثير من الأعشاب المحلية كالقرطوفة والطازية وغيرها، وكذا الحفاظ على موروث طبق التشيشة المحلية، وكذا الزميتة[2] .

2-3- الحفاظ على العادات والتقاليد:

أما وسائل الزينة فقد كانت المرأة تستعمل المكحل في الأعين، وتحمل المكحلة مع ما تحمله في جهازها والمادة المستعملة في الكحل تسمى الأثمد وهي حجر أسود يسحق قبل إستخدامه، وكانت المكحلة مع ما تحمله المرأة في جهازها [3]. وتضع المرأة في متليلي العديد من الحلي مثل عقد من العقيق، أو من الويز الذهبي حول رقبتها، والرعشة أو المشبك فوق الجبين، بالإضافة إلى الخلخال على مستوى الأرجل وبعض قطع اللويز الذهبي على خصلات الشعر[4]،وقد أثبتت الدراسات كذلك إلى إقبال النساء على الوشم إقبالا كبيرا،وهو في الغالب يتكون من مادة سوداء ترسم بها أشكال ورموز على وجه المرأة بالخصوص، أو على معصمها أو على ظهر يدها، وتصنع هذه المادة بطريقة معروفة سواء من دقيق الفحم أو مزيج معقد من الأعشاب أو بعض المعادن [5].

2-4-التسلية اليومية:

وهي من العادات اليومية،حيث تميز نمط حياة النساء في هذا القصر بمجموعة من الممارسات، من ذلك اللقاءات المتبادلة في البيوت، وإقامة الحضرات، والجذبة، والخروج الحفلات الموسمية أو في الأعراس،والخروج للوعدات والزيارات للأضرحة،

وكذلك في المواسم الدينية كالأعياد وفي رمضان، وعاشوراء والمولد النبوي الشريف، وكانت النساء لا يخرجن إلا للحاجة ولا يخاطبن الرجال ولا يجالسونهم، ولا يتعاملون إلا مع محارمهن، كما كن لا يبارحن منازلنهن إلا متحجبات بلحاف أبيض فيه أردية واسعة ضاربات النقاب على الوجوه وكن يبادرن إلى تغطية العين اليسرى ولا يتركن إلا العين اليمنى لتنظر منها. (6)

2-5- دورها الصحي:

كان للمرأة دور هام في الميدان الصحي، حيث كانت تقوم بنطبيب الكثير من الأمراض النتشرة في هذه الربوع، وذلك مساعدة للرجل، كالجدري والحصبة والرمد والشقيقة والسعال(الطوزة) حيث كانت المرأة هي القائمة على الأطفال وحتى أمراض النساء، فقد برز الكثير من نساء المنطقة يمارسن هذه المهنة وأخذناها من أبائهن أو أمهاتهن، وتتمثل في مهنة التوليد والحجامة، وقلع الأضراس، ومداواة لذغ الأفاعي والعقارب،والكي وفصد أماكن في الجلد تجد فيها إلتهابا، ولهن معرفة كبيرة بالأعشاب الطبية المحلية. (7)

3-النشاط الإقتصادي للمرأة في الجنوب الجزائري: تظهر المكانة الإقتصادية للمرأة في منطقة متليلي وجوراها، من خلال قيامها بقدر كبير من العمليات الإقصادية والتجارية، حيث نذكر أهم تلك النشاطات.

3-1-النسيج:

حيث عرفت هذه المهنة بمختلف فروعها اهتماما كبيرا من نساء مجتمع متليلي ، حيث إشتهرت المراة في متليلي بإعداد الصوف وغزله وكنّ يبعن في الأسواق المحلية ما تنتجه أيديهن من غزل، وقد ظل الصوف بهذه المنطقة من الوطن، يتم وفق

طرق تقليدية متوارثة،إذ كانت النساء تقمن بعمليات غسل الصوف وتبييضه ونشطه وصباغته،وظلت كل هذه الطرق المستعملة في إعداد الصوف تقليدية لم تتطور عبرالقرون[8]، حيث وفرت الغازلات وتجار الصوف المادة الأولية الضرورية لقيام العديد من الأنشطة كصناعة الملابس والزرابي وغيرها [9]، وكل العمل بهذه الحرفة مصدر دخل مهم بالنسبة للنساء،وتقوم كذلك بتصبيغ هذه الأصواف بأوان حمراء أو رمادية حسب الطلب، بواسطة قشور الرمان والحناء، وبعض الأعشاب الأخرى، حيث يوضع الكل في إناء يغلي ثم يجفف ليعطينا ألوان جديدة،وتكلفت بذلك بصنع معظم الملابس لأفراد أسرتها،وكل الأغطية الصوفية التي تدفئ عائلتها من البرد القارس في الشتاء الذي تعرفه المناطق الصحراوية.وكانت هذه العملية تبدأ بمصطلح محلي يسمى" السدوة" عند نساء المنطقة،[10]حيث أن جميع نساء القصر أو حتى في البادية ينسجن البرانس والحياك والجلاليب الصوفية مع إختلاف جودتها من القصر أو البادية ،ومن أهم المنسوجات التي يقوم بها نساء القصر إنتاج الخيم، والخيمة هي عماد البدوي وهي مسكنه، وذلك بنسجها قطعة بعد قطعة، يصل طولها من 12 إلى 15 م وتسمى هذه القطع في المنطقة "بالفليج".[11]

3-2-الزراعة والري:

كانت النساء يساعدن الرجال في عمليات حمل الماء والحطب، فقد كان في قصر متليلي عدة آبار،يستغلونها بواسطة رفع المياه الجوفية للسطح،وذلك بسحب الماء بواسطة الدلو كبير مصنوع من الجلد،حيث تتراوح سعة هذا الدلو ما بين ثلاثين أو خمسين لتر من الماء، وإفراغه في مكان يسمى بـــ" أَسْفّي"، وكانت الأداة الوحيدة لوفعه هي القوة الحيوانية كالجمال أو الحمير أو البغال، أو بواسطة جر بشرية[12]، وقد أشار الضابط الفرنسي كولوميو(v.Colomieu)، حين زيارته

لواحة متليلي في سنة 1862م، إلى طريقة ملئ "المواجن" من الماء بواسطة الرجال والنساء وحتى الأطفال [13]،فإذا كانت شجرة النخيل هي المسيطرة على المجال الزراعي في الواحات لتوفر المناخ الحار الملائم لمثل هذا الغرس، ونظرا للخدمات الكثيرة التي تقدمها هذه الشجرة لسكان الواحدة، بإعتبارها أحد أهم مصادر العيش في المنطقة، فهي تقدم التمر والأخشاب والسعف والليف،ومن الأشجار التي كانت سائدة في المنطقة نجد الرمان والمشمش.

3-3- تربية المواشي:

كان مكسبهم الغالب هي الماشية،فهي تعطيهم الألبان والصوف والشعر فأغلب سكان منطقة متليلي يعيشون الحياة الرعوية،إذ أن أكثر ثلاثة أرباع سكان هذه المنطقة يعيشون في البادية ويقتسمون موسمهم بين الرعي والواحة، التي يدخلونها في نهاية فصل الحرارة، لجني التمور،ثم يخرجون من الواحة قاصدي أماكن الرعي حيث لا يذهبون في الأبعد من 200 إلى 300 كلم من واحة متليلي، من كانت النساء البدويات أو حتى في قصر متليلي يقمن بتربية الماعز وبعض الدجاج، وكانت هذه الأعمال من قبيل الأمور المعروفة والمألوفة في هذه الربوع،وينتج عنها وفرة من الحليب ومشتقاته والبيض للعائلة. [14]

3-4-المهن النسائية:

كانت المرأة في مجتمع قصر متليلي يقمن بالكثير من المهن النسائية، وتعددت هذه المهن من مهن من حرف للصناعة الغذائية والألبسة، والأواني المترلية، وصناعة البخور، والدباغة وغيرها، ومن أهم هذه الحرف نذكر:

3-5- الدباغة:

صناعة المنتوجات الجلديه هي من الحرف الخاصة بالمرأة في الصحراء، تعتمد فيها أساسا على جلد الماعز أو الإبل،ويشار هنا أن الصناعة التقليدية تقوم بدباغة

الجلد ثم تهييئه لهذا الغرض،ويدخل في هذه الحرفة في صناعة تغليف الصناديق وبعض الوسائل التزيينية للخيمة وتستعمل المرأة في هذه المهنة وسائل اللشفة وهي آلة الغرز، ومن أهم تلك المنتوجات:

أ-صناعة الشكوة:

هي ذلك الوعاء الجلدي المخصص لمخيض وتحضير اللبن، سواء كان لبن الإبل أو الماعز أو الغنم وتساعدها في ذلك ثلاثة عيدان طويلة تسمى الحمّاره،وتتم هذه والشكوة كباقي المنتوجات الجلدية اليدوية هي في صناعتها من اختصاص المرأة، وتصنع الشكوة من جلد شاة بكامله، وتستوجب عملية تهييئه دباغته باستعمال أعشاب مختلفة من أهمها أوراق الرمان والعرعار،تغلق وتفتح الشكوة بواسطة قفل يدوي جلدي سهل الاستعمال يوجد عند الرأس يصل طول الشكوة في المعتاد مابين 60 و70سنتمترا[15].

ب-صناعة القربة:

القربة هي ذلك الوعاء الجلدي المخصص لتخزين الماء، وغالبا ما يستعمله الرحل لهذه الغاية بعد وضعها على أحد جانبي الجمل أو الناقة أو الحمير والبغال، وتقوم المرأة المحترفة بصنع القربة من جلد شاة على وجه الخصوص ويترك شعرها ظاهرا على الخارج دون دباغة فيما تتم عملية تهيئ داخلها عن طريق دباغتها بأعشاب طبيعية تسمى محلية،بعد ذلك يتم وضع سائل القطران بداخلها لمنع تسرب أو سيلان الماء، ولايتم استغلال ماء الكربة إلا بعد سقيها ثلاثة مرات على الأقل، وذلك حتى لا تؤثر المعالجة بسائل القطران على جودة الماء. وقد أثبتت التجربة حفاظ الكربة على برودة الماء الموجود بداخلها وذلك بفضل طريقة صنعها وجودة الجلد وطبيعة المواد المستعملة في دباغتها.[16]

ج- الطبق:

الطبّق بمعنى الطبق مفرد أطباق، وهو من اللوازم والأواني الضرورية في البيت أو في الخيمة الصحراوية، ولا يستعمل الطبق فقط لتحضير بعض الأطعمة كالكسكس مثلا ولكنه وسيلة كذلك لتقديم الوجبات عوض المائدة الخشبية،والطبك كباقي المنتوجات اليدوية التي تصنع من مادة سعف وسقاس النخيل،تحيكها المرأة وهي من اختصاص المرأة،يصل طول الطبك في المعتاد إلى حولي 150سنتمترا.(17)

د-نسج الخيام:

نسج الخيام هو إحدى الحرف اليدوية الخاصة بالمرأة الصحراوية، تعتمد في ذلك بالأساس كمادة أولية وبر الإبل أو شعر الماعز. فتقوم بغزله فتحوله إلى خيوط قبل نسجه وتحويله إلى قطع متراصة من الوبر البني اللون تسمى"الفليج" ثم نسجها من جديد وتجميعها على شكل فراش كبير مربع الشكل يشكل بعد ذلك الخيمة،وغالبا ما تجتمع النساء لهذا الغرض في إطار التويزة في ساحة شاسعة تحتسين فيها كؤوس الشاي تتجاذبن أطراف الحديث، كل ذلك يساعدهن في الإسراع في عملهن دون إغفال جانب الجودة والدقة في الإنتاج،وفي العادات والتقاليد يلزم كل مار من طريق توجد بها خيمة في طور الإنجاز المساهمة في هذه التويزة بالسكر أو الشاي أو غيره، يحصل ذلك بعد أن ترميه النساء بإحدى الكرات المتشكلة من خيوط الوبر. (18)

و-صناعة البخور:

لشدة إحتياج المرأة في قصر متليلي لهذه المادة،نجدها تقوم بإنتاج البخور بمواد محلية،وذلك بدمج الكثير من الأعشاب المحلية،وكذا بعض أنواع الأحجار التي تجلب من الأسواق كالجاوي، وكانت تستعمل كذلك وتصنع السخابات من وهي نوع من الشراشم . (19)

4-الخاتمة:

وفي الأخير خرجنا بمجموعة من النتائج منها:

ما يميز المرأة الشعانبية في مشاركتها للرجل في كل شؤون الحياة المختلفة،وخاصة منها الاجتماعية والإقتصادية، أما المكانة الحضارية للمرأة في متليلي فقد ظهرت من خلال مشاركتها في ممارسة الحياة اليومية داخل المجتمع في القصر أو في البادية فكان لها دور هام في كل أوجه الحياة الاجتماعية .

أما المكانة الاقتصادية للمرأة في متليلي فظهرت من خلال الحرف الكثيرة التي كانت تتقنها ، وتتقل إليها من جيل إلى جيل،وتعددت نلك الحرف من حرف غذائية وأنسجة وخرف يدوية في صناعة الأدوات المترلية،والتي كانت من صميم الدور المنوط بها في المجتمع

وكان تعلق المرأة في متليلي بالأولياء الصالحين والتبرك بأضرحتهم وجعلهم حماة لها في كل أمورها ،ومن بين الأولياء الذي لقيّ نجد مقام عبد القادر الجيلاني، وأضرحة أولاد عمر بن موسى.

5-قائمة المراجع:

1-Ruffié Jacque Ducas : Larrouys Goeoges : Etude Hémotypologique de Populations de la regions du M'zab, département des Oasis1962 ,p361.

وينظر: مليكة بن قومار: التراث الشفوي في الجنوب الجزائري" منطقة متليلي الشعانبة انموذجا) في مجلة روافد، المجلد 03- العدد 02- ديسمبر 2019.ص42.

2- كنت أرى المرحومة والدتي وأنا صغير لا أتجاوز 10 سنوات وهي تقوم بإستخراج الكليلة والسمن من حليب الماعز، وتعد مسحوق الزميتة في المناسبات والأفراح، وهي من أعمال كل أقرانها في بلدتنا.

3--نبيلة عبد الشكور حساني:الملابس العربية في المغرب العربي في العصر الوسيط، ندورة المرأة العربية عبر التاريخ، إتحاد المؤرخين العرب، حصاد19، القاهرة 2011، ص 489.

[4] – أحمد مزيان: **المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19م**،ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ج 01، ص 94.

[5] – Jacques Ducas et Larrouy George : **Etude hémoty pologique des populations de la région du M'zab**, département des oasis, 1962, p 361.

[6] – ينظر: نبيلة عبد الشكور حساني: تزيين المرأة في المغرب العربي في العصر الوسيط، في ندوة المرأة العربية عبر العصور، إتحاد المؤرخين العرب، حصاد 19، القاهرة 2011، ص 489، وينظر: ibid, p 362. Jacques Ducas et Larrouy George وكذلك ومن خلال وثيقة مقدمة من طرف رئيس اللجنة الدينية للمسجد العتيق بمتليلي،تبين قرارات بعض شيوخ مدينة متليلي سنة 1947م، وذلك في شأن خروج النساء لزيارة القباب وإقامة الحضرة والجذبة.

7–نبيلة عبد الشكور: تفسه، ص 489.

8– Katia Azoulay et :Essaouira, Mogador,Parfums d'enfance,Paris1991 ;p58.

9–شهادة مستقاة من والدتي المرحومة،والتي نشأت وترعرت ودفنت بمسقط رأسها متليلي، هي كانت هي بدروها ماهرة في الغزل والنسيج،كنسج القشاشيب والبرنوس، وحتى الفليج.

10–محمد بوسلام: اللباس التقليدي في المغرب، الجذور والإنتاج والأصناف والتطور،ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر ، الرباط، 2014، ص 66.

11–بكار الدهمة: جوانب من مظاهر الحياة الاقتصادية في قصر متليلي خلال القرنين19–20م ، في مجلة روافد للبحوث والدراسات،المجلد05– العدد02، ديسمبر 2020م. ص ص 51–53.

12– commandant .v.Colomieu : voyage dans le sahara Algerien, de Géryville a Ouargla, p 174

13–ibid

14 – A.Cauneille : les Chaamba, leur Nomadisme, évolution de la Tribu Durant l'administration Francaise, Edition du Centre National de la recherche Scientifique, Paris 1968, p p 57-67.

15– محمد بوسلام: اللباس التقليدي في المغرب، الجذور والإنتاج والأصناف والتطور،ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر ، الرباط، 2014، ص 77، ولقد رأيت الكثير من أمهاتنا كن يقمن بالكثير من أعمال الدباغة، لصناعة الشكوة خاصة.

16–مبارك جعفري: الأزواد خلال القرن 13هـ–19م، دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية،ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2021، ص 302، وهذه من أهم المهن التي كانت تنشط فيها النساء في مجتمع متليلي في القرن 19 والقرن 20م.

17––بوسليم صالح:الصناعة التقليدية لمنطقة تيديكلت– صناعة الفخار والجلود نموذجا– دراسة ميدانية فنية اثنوغرافية، رسالة ما جيستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2001–2002،ص ص 36–49.

18–شهادة مستقاة من والدتي المرحومة،والتي نشأت وترعرت ودفنت بمسقط رأسها متليلي، هي كانت هي بدروها ماهرة في الغزل والنسيج،كنسج القشاشيب والبرنوس، وحتى الفليج.

19– كانت صناعة البخور من أهم الأعمال اليومة والتي نشطت فيها الكثير من النساء.